Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذهنية ، وهذه الفرضية المبدئية هي التي تبوّىء مفهوم الأُسلوب شرعية الوجود وينطلق الجاحظ من التّسليم المبدئي بأنّ استعمال الظاهرة اللغويّة يتفرّع إلى مستويين اثنين : أحدهما استعمال عاديّ مألوف يخلو من كل سمة أسلوبية نوعيّة وهو المستوى الذي يقرنه بطبقة معينة من المجتمع يسميها «العامة» حينا و « الناس » حينا آخر (١-٢٠)، والثّاني هو الاستعمال المطبوع بسمة فنّية خاصة ، وينص الجاحظ على أن هذا المستوى الثّاني لتصريف الظاهرة اللغوية يقتضي السياسة والترتيب والرياضة وإحكام الصّنعة »(١-١٤)ممّا يجعل الكلام ذا طابع مميّز ، ولئن اقتصرت وظيفة الاستعمال الأوّل على مجرد « إفهام الحاجة» ـ أي مجرد الابلاغ أو ما يمكن أن نعبر عنه بمستوى الصفر من الدلالة التّمييزية ـ فإن الاستعمال الثّاني يحول تصريف الظاهرة اللغوية من مجرّد «الابانة» ـ على ما قد تحتوي أحيانا من « لكنة أو خطإ أو لحن أو إغلاق» ـ إلى مجرى «البيان الفصيح» (١-١٦١-١٦٢) ممّا يرتقي به إلى النصوص «المميزة عند الرّواة الخلص» (٤-٣١) .

على هذا الأساس يتضح لنا أول مقياس انبنت عليه نظرية الجاحظ في تحديد الأُسلوب وهو مبدأ اختيار اللفظ . وتلح النّظريات الأُسلوبية الحديثة على إبراز مبدإ الاختيار في كل عملية خلق فنّي إذ هي تنفي عفوية الحدث الأدبي اعتمادا على أن كل صوغ لساني فنّي إنّما هو ضرب من الاختيار الواعي يستقي به الباث الوسائل التّعبيرية الملائمة لغرضه ممّا تمده به اللغة عموما . والنّاظر في مادّة «البيان والتبيين» يستشف منطلقات الجاحظ في صوغ مبادئه البلاغية العامة ، ومن أبرز ذلك تأكيده على أن الخلق الفنّي إنما هو « عمل » أو قل « صناعة» ، فمعنى